

## إتباع المذاهب الفقهية

سؤال: ما حكم الذين ينكرون إتباع المذاهب؟

ظهرت فاشية أو شائعة في عصرنا هذا يقول أهلها: ما لنا وللمذاهب، هم رجال ونحن رجال، فنرجع للقرآن والسنّة ونعمل بما!!

وهذا شرود عن المنهج المستقيم، وتحول عن الحال السليم، لأن القرآن يحتاج إلى فهم، والسنّة تحتاج إلى دراية واسعة، فإذا سمع الإنسان آية من كتاب الله في موضع من مواضع شرع الله كيف يفسرها؟! إما أن يكون قد درس مذاهب العلماء ويفسرها على هدئ من العلم المستنير، وإما أن يفسرها على حسب هواه، وقد يكون خطئاً في تفسيره هذا، لأنه خالف منهج السلف الصالح.

فإن أصحاب المذاهب رضي الله عنهم درسوا القرآن، وفقهوا معانيه بحسب لغة العرب الذين أنزل عليهم القرآن - وهذا قد لا يتهيأ لكثير منا الآن - ودرسوا الأحاديث الشريفة، وهناك أحاديث قد يظهر لك للوهلة الأولى أن هناك تعارض بينها، كيف تخرج من هذا التعارض؟ درسوه وقادسوه وأصلوه على عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل صحبه الكرام، حتى خرجوا لنا بالمذاهب الشرعية وفق أحسن تحرير يقول لنا فيه الله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّيَتَفَقَّهُوْ فِي الدِّينِ وَلَيُنَذِّرُوْا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوْا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبه: ١٢٢].

إذن فالله هو الذي أمرنا بذلك، أن يكون هناك طائفة تتفقه في الدين، وبعد

التفقه ترجع لنا بالآراء التي رجحتها، والأمور التي استوضحتها، فنمشي على هداها، ونحن في هذا على صواب إن شاء الله.

فإذا اختلفنا ماذا نفعل يا رب؟! ﴿وَلَوْ رَدْوَهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكُ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلْمَهُ الَّذِينَ يَسْتَطِعُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [ النساء: ٨٣]. إذاً هناك أهل للاستباط، وليس كل أهل الإسلام يستطيعون الاستباط، أي استخراج الأحكام بعد وضوح الأدلة، وبعد استخراج الدلالات، هذا علم لا بد منه لتوضيح التشريعات، والمشي على المنهاج الذي كان عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام.

وما نراه الآن في عصرنا من الفتاوي المنكرة، والأعمال الشنيعة المنسوبة للإسلام سببها الأول أن هؤلاء الذين قالوها أو عملوا بها أفتوا بحسب أهوائهم ولم يرجعوا إلى العلماء الأجلاء الذين أصلوا دين الله، وأحسنوا الاستباط والاستخراج من كتاب الله، ومن سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوقعوا المسلمين في هذا الزمان في حيرة شديدة، لأنهم أوهموا الناس أنهم علماء، بينما هم في مناهجهم ليسوا على هدى العلماء الأجلاء الذي وضعه الله في كتاب الله، والذي كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأسوق في هذا البيان مثالاً:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً مع صحبه الكرام في وليمة دعاهم إليها أحد أصحابه على لحم جمل سمين، والجمل السمين كانوا يسمونه جزور - وكان من عادة حضرة النبي المباركة إذا دعاه قوم ل الطعام يؤنسهم فيصلـي فريضة من فرائض الله عندهم في مكانهم تكريماً لهم، سواء قبل أو بعد - فلو دعوه للغذاء إما أن يُصلـي الظهر أو يُصلـي العصر عندهم في بيـتهم تكريماً لهم، وخرج من أحد الجالسين ريح،

فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ب بصيرته النورانية أن هذا الرجل عنده حباء، وسيستحي لأن يقوم فيتوضأ، وكان صلى الله عليه وسلم صاحب ذوق رفيع، فلا يحرج أحداً قطّ، فأمرهم صلى الله عليه وسلم أنه من أكل لحم جزور فليتوضأ، أي سيتوضأ الجميع.

العلماء الأجلاء راجعوا سيرة رسول الله فوجدوا أنه حضر لولائم كثيرة، ذُبح فيها جمال، ولم يدع فيها إلى ما دعا إليه في هذا اليوم، بل قاموا فصلوا بغیر وضوء، فعلموا أن هذا الحديث في هذا الموضع كان حكمة لهذا السبب، وليس أمراً مستمراً، ومن هنا قالوا: لا ينبغي على المرء أن يتوضأ إذا أكل لحم الجمال.

{وَأَمَا خَبَرُهُ: [مَنْ أَكَلَ لَحْمَ جَزُورٍ فَلْيَتَوَضَّأْ] فَمَنْسُوخٌ بِمَا رَوَاهُ جَابِرٌ: [تَرَكَ التَّبِيِّنَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوُضُوءَ مِمَّا غَيَّرَهُ النَّارُ]. الشَّامِلُ لِلَّحْمِ الْجَزُورِ، حاشية البيجري على الخطيب}.

الجهال الذين صنعوا من أنفسهم علماء رأوا هذا الحديث فأمسكوا به، وقالوا: من أكل لحم جمل لابد أن يتوضأ، وهذا حديث صحيح، لكنهم لم يعرفوا مناسبته، ولم يقارنوه بما سواه من المناسبات كما فعل السلف الصالح من العلماء الأجلاء الذين استخرجوا لنا واستخلصوا لنا قواعد شرع الله، من كتاب الله ومن سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية، ومن أعمال صحابته الكرام.

إذن الأمر يحتاج إلى هذا الاجتهاد الذي وصل إليه العلماء، لأنه توضيح لما ورد في كتاب الله، وتبيين لما حديث في سُنة رسول الله، وصلوا إليه بورعهم وتقواهم لربّهم، وحرصهم على دين الله، وتوفيق الله عز وجل لهم.

فينبغي علينا أن نأخذ هذا التراث ونستمسك به، ونستزید عليه بما نحن في حاجة إليه في عصرنا بواسطة أشباههم وأمثالهم، وهم العلماء الأجلاء الذين درسوا ومعهم الأدلة العلمية، ومعهم النبوغ الفقهي، ومعهم تقوى الله وعنایة الله ورعايته اللہ جل جلاله في علاه.

\*\*\*\*\*